NHRC
اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان
National Human Rights Committee

حكايات بيت الجدة 2

الديمقراطية في بلادي

تأليف :
رانيا فؤاد جاد الله

حكايات بيت الجدة 2

الديمقراطية في بلادي

تأليف :

رانيا فؤاد جاد الله

«خبير قانوني»

NHRC

اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان

National Human Rights Committee

تقديم

لقد برزت مسألة حقوق الأطفال فى السنوات الأخيرة بشكل أكثر وضوحاً وبأسلوب متميز عن حقوق الإنسان بمفهومها العام، فهي تعد حديثة النشأة إذا ما قورنت بحقوق الإنسان عامة، حيث شهدت سبعينيات القرن الماضي تبلور هذه الحقوق بشكل منفرد .

وبقدر ما تنجح الأمم و الشعوب فى رعاية أطفالها، وإشباع حاجاتهم المادية والنفسية والاجتماعية، وتربيتهم على القيم والمثل العليا والأخلاق الفاضلة بقدر ما تتكون أجيال جديدة قوية البنيان، متوازنة نفسيا واجتماعيا، قادرة على الخلق والإبداع.

وتأتي مكانة الوعي الرسمي لدولة قطر بكافة مؤسساتها وعلمائها بأهمية بلورة مكانة فارقة ومتميزة للطفل ولحقوقه، والتى تعد جوهر حقوق الإنسان، لتتوافق مع ما دعا إليه علماء الاجتماع من ضرورة الاهتمام المتخصص بالطفولة لضمان الاهتمام المستنير بسبل الرعاية والتنشئة ومدى النفع العائد على المجتمع حال الاهتمام بالتنشئة السليمة للطفل.

وإذ تدرك اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان أهمية الوعي التثقيفي بحقوق الإنسان بصفة عامة وحقوق الطفل بصفة خاصة وانطلاقا من دور اللجنة في نشر ثقافة حقوق الإنسان بالعديد من الوسائل فقد رأت اللجنة اختيار طريق سهل وميسور لتعريف الطفل بحقوقه من خلال إصدار مجموعة قصصية نأمل أن تلقى قبولاً لدى القارئ وان تحقق الهدف المنشود.

مريم بنت عبد الله العطية

الأمين العام للجنة

المقدمة

تتربع موضوعات حقوق الإنسان على قمة أولويات الدول فى هذه الآونة ، وليس من المبالغة إذا نظر إليها باعتبارها ميزانا للحكم على رقي الحكومات وبرهانا على تقدم الشعوب بالإضافة إلى تَسيد موضوعات حقوق الإنسان قمة اهتمامات المجتمع الدولي بكافة هيئاته، ولم تكن قطر ببعيدة عن هذا النشاط المحمود، فقد جاء إنشاء اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان ليجسد توجها واضحا نحو إقرار المزيد من الحماية لتلك الحقوق والعمل على تناول موضوعاتها بشكل أكثر تنظيماً ومنهجية .

وإذا كان الأمر على هذا النحو بالنسبة للإنسان وحقوقه ككل، فانه يكتسب قدرا عاليا من الخصوصية والاهتمام عندما يتعلق الأمر بالطفل، ولأن «الأطفال هم صناع المستقبل، بل هم المستقبل نفسه» فقد كان طبيعيا أن ينال الطفل اهتماما عميقا لصغر سنه وطبيعة احتياجه العميق إلى رعاية متميزة.

وقد استتبع صغر سن الطفل اختلاف معاملته من حيث حقوقه وواجباته في إطار التشريعات الوطنية والاتفاقات الدولية، فيما يتعلق بحدود المباح والممنوع من تصرفاته.

ومما لا شك فيه أن الطفل قيمة مقدسة يتعين الحفاظ عليها وتعهدها بالرعاية القويمة وتوفير كافة الأساليب المثلى لنموه ونضجه بطريقة ايجابية ومتوازنة، تربويا وتعليميا، فمستقبل الطفل هو في الحقيقة مستقبل شعب بأسره، إذ يشكل الثروة الحقيقية للوطن، بما يعنى أن

الاستثمار اليوم في الأطفال يحمل السلام والاستقرار والأمن والديمقراطية والتنمية للغد، ونرى أن القصور فى توجيه العناية الواجبة لحقوق الأطفال يعد جريمة في حق المجتمع والدولة، ويجسد ضياعا لثروة البلاد القومية واستثمارها في المستقبل، حيث تقوم عليهم المجتمعات وفي المحافظة عليهم ورعايتهم ضمان أكيد لبقاء هذه المجتمعات على أكمل الوجوه وأتمها، فالطفل إذن شأن مجتمعي غال.

وفي هذا الإطار كان لزاماً علينا ونحن نعمل في مجال حقوق الإنسان أن نقدم للطفل بياناً لماهية حقوقه بشكل مبسط وسهل وذلك من خلال مجموعة قصصية اخترنا لها عنوان حكايات بيت الجدة.

هيا نقرأ لهم ومعهم، أو يقرأون بمفردهم حكايات بيت الجدة، ليتعلموا حقوقهم وواجباتهم، ونناقش معهم ما يصعب عليهم إدراكه، ونسمع آراءهم وأفكارهم وتجاربهم الصغيرة ونضمهم إلينا حتى نبني مستقبلهم المشرق الجميل.

رانيا فؤاد جاد الله

مستشارة قانونية باللجنة الوطنية لحقوق الإنسان

الديمقراطية في بلادي

مع إشراقه يومٍ جديد، ترسلُ الشمسُ أشعتَها الدافئةَ لتبعثَ البهجةَ والسرورَ في النفوس، وتَظهرُ السماء صافية، والطبيعةَ رائعةً خلابةً، فالزهور تملأ الحديقةَ والطيورُ تغرّدُ هنا وهناك، وفي وسطِ هذا المنظرِ الرائعِ جلَست الجدةُ على الأريكةِ، وبيدِها الجريدةُ اليومية، وتقرأُ العنوانَ الرئيسيّ للجريدةِ «الأسبوع القادم انتخابات مجلس الشورى» .

وبينما هي منهمكة بقراءة التفاصيلَ، رنّ جرسُ البابِ، فنظرت الجدة لساعتها من خلف نظارتها السميكة وقالت بصوت يملأه السعادة : «آه هؤلاء أحبائي الصغار»، وهمت بالوقوف وبالفعل جاء توقع الجدة صحيحا فدخل أحفادها يتراكضون عليها ويقبلونَها وكلّهم فرحة وسعادة .

سألها ناصر : « كيف حالُكِ يا جدتي؟»

فهمّت الجدةُ بالإجابةِ، لكن ناصر قاطعها وعيناه شاخصتان وينظرُ للطاولةِ المليئة بكل أنواعِ الطعامِ والحلوى .

واستدرك قائلا : «أتمنى أن أَحضُرَ إليك كلّ يومٍ فأنت يا جدتي دائماً تعرفين أنواعَ الطعامِ الذي أحبه» .

أجابت الجدةُ وهي تبتسمُ وتداعبُ ناصر : «أنا الحمدُ لله بخير وصحةٍ جيدة، كيف حالُكَ أنتَ يا ناصر؟» .

– ناصر – وعيناه تنظر بنهم نحو الطاولة – : «بخير... بخير... ياجدتي» .

– الجدة: «بالطبع يا صغيري أنا أعرفُ أنواع الطعام الذي تحبه» .

قال ناصر (وهو يرفعُ رأسَهُ لأعلى ليظهَر أكثرَ طولاً، ويبتسمُ ابتسامةً يحاولُ أن يخفي بها بعضَ الضّيقِ من حمد) : «جدّتي أنا لستُ صغيراً، أنا عمري تسعُ سنوات، وأصبحتُ أطولَ واقتربتُ من حمدٍ، يبقى عشرةُ سنتيمترات وأصلُ لطولِ حمد وأصبحُ كبيراً مثلَهُ وأتحدثُ مثلَهُ وأُعبّرَ عن رغباتي وما أريدُ وأُحدّدُ المكانَ الذي سوفَ نذهبُ إليهِ في العطلةِ الصيفية، فلا يقولُ لي دائماً إنّهُ الكبيرُ وأنا الصغير» .

نظرتِ الجدةُ لناصرٍ ببعضِ الاستغرابِ وقالت : «ما بك يا ناصرُ ؟» .

أسرعت عنود وقالت : «كنا نتحدثُ قبل أن نأتيَ إليكِ يا جدّتي أين سنسافر لقضاء العطلةَ الصيفية ؟ حمد يرغب بالسفر إلى لندن، بينما أنا أرغبُ بالبقاء في الدوحةِ، لانّ رفيقاتي لن يُغادرنَ الدوحةَ في العطلةِ، وناصر يفضل السفر إلى ماليزيا لأنهُ يعشقُ الألعابَ المائيةَ، وتناقشنا واختلفنا وتعالت أصواتُنا وأصَرّ كلٌّ منا على رغبتِه، وتضايقَ ناصر عندما قال له حمد أنا الكبيرُ ويجب أن تنصاعوا لرأي وسوف نسافرُ إلي لندن رغماً عنك» .

نظرتِ الجدةُ لناصر وقالت : «ما شاء الله . . ما شاء الله . . أنا سعيدة جداً أَنكَ تنمو ويزدادُ طولُكَ وسوف تصبحُ أحلى شابٍّ في البلدةِ، ولكن يا حبيبَ قلبِ جدّتِكَ يقولُ الرسولُ الكريمُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه : (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا)» .

ابتسم ناصر ابتسامةً تُخفي شعورَه بأنّهُ سوفَ يأخذُ من كلامِ الجدّةِ ما يريدُ ويتركَ ما لا يريد، وقال : «هذا يعني أن على حمد أن يكونَ حنوناً ورحيماً معي فَيلبي لي رغباتي» .

قالت الجدة مبتسمة : «يجبُ أن تعلمَ يا ناصر أنّ عليك أنتَ أيضاً أن تحترمَهُ وتُوقِّرَهُ، وأن يبدأ هو بالحديثِ أولاً وان تستمع إليهِ، وبعد ذلك تناقشُهَ في أيِّ شيء تريدُ . هذا هو دينُنا وهذه هي قيمنا الأخلاقية الجميلة التي يجبُ المحافظة عليها وتنميتها وتعزيزها وغربلة ما لا يتفق مع صحيح الدين وقيمنا الأخلاقية والعقل» .

ويجبُ أيضا أن نناقشَ جميع موضوعاتنا بطريقةٍ ديمقراطية.

ظهرت على وجهِ ناصر علاماتُ الرِّضا والارتياحِ وابتسمَ قائلاً : «نعم أعرف ولكن هيا الآن يا جدتي نأكلِ الطعامَ والحلوى اللذيذةِ التي وُضِعَت على الطاولةِ هناك» .

قام الأبناءُ والجدةُ، وحضرَ الجَدُّ وتناولوا فطورَهُم معاً، وأَخَذَ حمد والعنود يُذكِّرانِ جدتَهُما بالحديثِ في اللقاءِ السابقِ عن حقوقِ الأطفال . وأخذا يضحكانِ ويتبادلانِ أطرافَ الحديث .

وبعد أن انتهى الجَدُّ والجدةُ والأبناءُ من الفطورِ وتناوُلِ الحلوى قال ناصر : «جدّتي في الزيارةِ السابقةِ قُلتِ إنّكِ سوفَ تُحدِّثينا عن عملِ والدِنا والمقرطة» .

ضحكت الجدةُ وقالت : «تقصدُ الديمقراطية بكُلِّ تأكيد» .

وأكملت العنود : «وكذلك المجالس النيابية» .

ضحكت الجدة وقالت: «نعم، نعم سوف نتحدثُ عن الديمقراطيةِ والشورى وأهميتِهما والمجالسِ النيابية» .

هنا ابتسمَ الجَدُّ وقال : «قبلَ الحديثِ عن الديمقراطيةِ سوفَ أَدعوكم إلى أن تُحدِّثوني عن الشورى» .

أسرعَ ناصر قائلاً : «أنا درستُ الشورى وعرفتُ أنها : (عرضُ المشكلاتِ التي يتعرّضُ لها المجتمعُ على أهلِ العلمِ والخبرةِ ليتشاوروا ويصلوا إلى أفضلِ الحلولِ من خلالِ تبادلِ الرأيِ) كما فعلَ الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلم» .

سارعت العنودُ : «أنا سأقولُ مثالاً يا جَدِّي» .

ضحكَ الجَدُّ وقال : «تحدّثي يا حبيبتي؟» .

قالت: «إنّ الرسولَ صلى اللهُ عليه وسلّمَ قبلَ موقعَةِ الخندق (الأحزاب) أشارَ عليه (سلمانُ الفارسي) رضيَ اللهُ عنهُ ببناءِ خندقٍ حولَ المدينةِ، لتأمينِها بعدَ أن علم المسلمون أنّ المشركين يُعدُّونَ العدةَ لغزوِ المدينةِ فشاورَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَهُ وقاموا واقترحوا عليه حفر الخندقِ، وكانَ هذا الخندَقُ أَحدَ أسبابِ هزيمةِ المشركين ومن معهم» .

رفع الجدُّ نظارتَهُ عن عينه قائلا : «أحسنت يا العنودُ بالفعل كانَ نظامُ الشورى هو نهج نبينا محمد صلى الله عليه وسلمُ منذُ بدايةِ الدّعوةِ وقد أَدّى هذا النظامُ إلى خلقِ مجتمعٍ مسلمٍ متماسك، وكان النواة لتكوين الدولة الإسلامية القوية، وأساسها العدلُ والمساواة» .

قامت عنود وجلست بجوارِ جدتها وقالت : «حدثينا عن الديمقراطيةِ يا جدّتي» .

قالت الجدةُ : «هل تتذكّرونَ يا أبنائي عندما تحدّثنا الزيارةَ السابقةَ عن حقوقِكُم حقوقِ الأطفالِ وتحدّثنا عن الحقِّ في التّعبيرِ عن أرائِنا بِحُرّيةٍ واحترام ؟ .

هذا الحَقُّ هو ما سوفَ نبدأُ به حوارَنا يا شبابَ الغدِ ورجالَ المستقبلِ، فالحقُّ في التعبيرِ عن أرائِنا، والحوارُ وسماعُ الآخرينَ، واحترامُهم، والقدرةُ على التفكيرِ والاختيارِ، واتخاذِ القراراتِ يُمثّلُ معنى الديمقراطية» .

قالت العنود : «وَضّحي لنا أكثرَ يا جدتي» .

قالت الجدة : «فمثلاً إذا كُنا كأسرةٍ نخطط للقيام برحلةٍ في الإجازةِ الصيفيّةِ يجبُ أن نجلسَ ونتحاورَ ويسمَحَ كُلٌ منا رغباتِ الآخرِ، ونحاولَ التوفيقَ بينَ رغباتِ جميع أفرادِ الأسرةِ، ونحترمُ رأيَ كُلّ فردٍ، سواء كانَ صغيراً أو كبيراً طالما أنّهُ يعرضُ رأيَهُ بأسلوبٍ لائق» .

قال ناصر وهو يهزُّ رأسَهُ : «الآنَ فهمتُ (الديمقراطيةُ هي أن يُعرَضَ علي موضوع فأعبّرَ عن رأيي بحريةٍ واطلُبَ ما أريد)» .

قالت الجدةُ: «باختصارٍ الديمقراطيةُ هي أسلوبُ حوار.

الديمقراطيةُ هي تَعَلُّم اتخاذِ القرارِ وتحمل المسؤوليةِ.

الديمقراطيةُ هي المشاركةُ والقيادةُ».

قاطعهم الجَدُّ قائلا: «يا أحبائي.. يجبُ أن تعلموا أن الديمقراطيةَ أسلوبُ تفكيرٍ، ويجبُ أن تمارسوها في جميعِ جوانبِ حياتِكُم اليوميّة».

قال حمد: «كيفَ ذلك؟».

قالت الجدة: «سوفَ أسألُكُم سؤالاً يوضحُ كيفيّةَ ممارسةِ الديمقراطيةِ بشكلٍ بسيطٍ، ومنه نصلُ إلى المفهوم السياسيّ للديمقرطية.

أَنتم يا أبنائي، كُلٌّ واحدٍ منكُم داخلَ الفصلِ المدرسي قد يواجِهُ بعضَ المشكلاتِ، فمثلاً يا حمد ما هي المشكلاتُ التي تواجهُها داخل الفصل؟».

قال حمد: «في بدايةِ العامِ الدراسيِّ لم يكن لدينا مدرس للغةِ الانجليزيةِ، وكنا بحاجةٍ للوحةِ حائطٍ بالصفِّ لعرضِ الأخبارِ والموضوعاتِ الإعلاميةِ الهامةِ؛ ليستفيدَ منها جميع الطلبة في الفصل».

قالت الجدّةُ: «وماذا فعلتُم؟».

قال حمد: «تحدثّنا مع مدرسِ الفَصلِ، وحاوَلنا الذهابَ جميعاً لمديرِ المدرسةِ ولكنّنا اتفقنا على حَلٍّ آخر».

قالت الجدةُ مُقاطعةً: «رائع يا حمد أن يكونَ لكُم أراء وأهداف وان تطالبوا بحقوقِكُم في أيّ مجالٍ كان، ولكن ما هي وسيلةُ عملِ ذلك؟» .

أكملَ حمد بفخر وزهو: «اختارني زملائي لأذهبَ إلى المديرِ وأتحدث معه، واعرضَ عليه طلباتِنا، وبالفعلِ استجابَ وتمّ تعيينُ مُدرّسٍ جديدٍ، وتوفيرُ لوحةِ حائطٍ بالصّفِّ، لعرضِ الأخبارِ والموضوعات الهامّة» .

قالت الجدة: «هذه هي الديمقراطيةُ بصورةٍ مبسطةٍ بمعنى أنّكُم لديكُم أراء واحتياجات وترغبون في توصيلها إلى القياداتِ أو الحُكّامِ، فتختارونَ من يُمثّلَكُم لثقتِكُم بهِ، ويقومُ بعرضِ طلباتِكُم على القيادات والحُكّامِ ليقوموا هُم بعدَ ذلكَ بدراستِها وتلبيتِها لتحقيقِ الخيرِ لَكُم ولكافّةِ الشّعب، وعلى بعض الفئات التي تخرج عن رأي المجموع أن تقبل رأي الأغلبية من الشعب» .

رفعتِ الجدّةُ يدَها وأشارت إلى زوجِها وقالت : «سوفَ يُحدّثُكم جَدّكم عن الديمقراطيةِ السياسيّة بما أنّهُ نائب في البرلمان» .

تدخّلَ الجَدُّ وقال : «ببساطةٍ الديمقراطيةُ : هي (حكمُ الشعبِ لصالح الشعب)» .

لاحظ الجد نظره باهته على وجوه أحفاده تدل على عدم فهمهم لمقولته فاستدرك قائلا: «بمعنى أن يبدأَ الشعبُ بانتخابِ ممثليهِ وفقاً لقانونِ الانتخابِ، ويكونَ هؤلاء النوابُ وكلاءَ عن الشّعبِ، ودورُهم هو إعطاءُ الثقةِ للحكومةِ، أو حجبُها، ومراقبةُ أدائها، ومحاسبتُها، وسحبُ الثقة منها إذا أخطأَت، لكونِهم وكلاءَ عن الشعب.

بالضبط كما فعل زملاؤك معك يا حمدُ فالشعبُ هم زملاؤك الذين قاموا باختيارِك، لثقتِهم فيكَ وأصبَحتَ أنتَ النائبَ عنهم أي تنوبُ عنهم جميعاً في توصيلِ طلباتِهم، واحتياجاتِهم، وأرائِهم، إلى المديرِ (أي الحكومة) و لكَ دورُ المتابعةِ مع المديرِ، وإذا لم يستجيب المديرُ لرغباتِكُم المشروعةِ الصحيحةِ يمكنُ مساءلتُه وتقديم شكوى ضده للرئيس الأعلى ويمكن أن يصل العقاب إلى فصله من العمل».

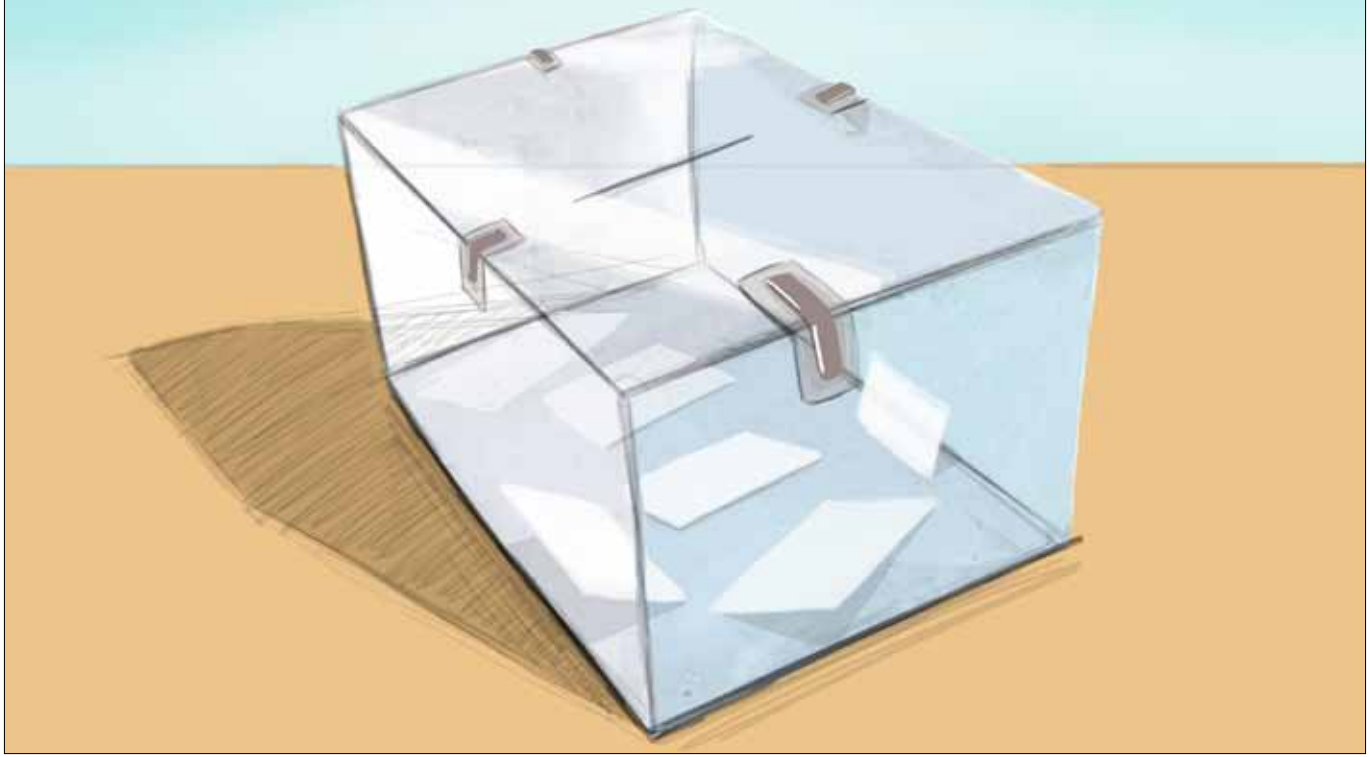

قالت الجدة: «حقاً يا زوجيَ العزيزَ دائماً نحبُّ وجودَكَ ومداخلاتِك معنا، ما رأيك أن تحدثنا عن مجلسِ الشورى أي (المجالس النيابية)» .

قال الجد: «الكلامُ عن الشورى والديمقراطيةِ قد لا يكونُ ممتعاً لأحفادي» .

قالت الجدة: «يجبُ أن يعلمَ الأبناءُ أهميّةَ الشورى والديمقراطيةِ ليتمكّنوا من ممارستِها في حياتِهم في كافّةِ الجوانب» .

قال الأبناءُ بصوتٍ واحد : «نعم، نعم نرغبُ في أن نعرفَ أكثرَ عن الديمقراطية» .

قال الجد : «المجالسَ النيابّيةُ تتكَونُ من مجموعةٍ من الأعضاءِ الذين يتمُّ انتخابَهم عن طريقِ (الاقتراعِ السري المباشر) أي يقوم الناخب بنفسه بالإدلاء بصوته بطريقة سرية ويكون الأعضاء الذين تم انتخابهم ممثلين عن كافّةِ فئات الشّعب» .

قال ناصر : «ما وظيفةُ هؤلاء النوابِ يا جَدّي ؟» .

قال الجد : «هم ممثلون عن الشعب، دورُهم نقل رغباتِ ومشكلاتِ الشّعبِ للقياداتِ أي (الوزارات) ليقوموا، بدراسِتها ومحاولة حَلّها وذلك يكونُ عن طريقِ سَنّ تشريعٍ جديدٍ أي (إصدار قانونٍ جديدٍ يُنظمُ علاقات الأفراد بعضهم ببعض وكذلك علاقاتهم بالجهات الحكومية ويتضمن وسائل حل المشكلات)، ودورهم كذلك مناقشة ميزانيةَ الدولةِ أي يطّلعونَ على ما يدخلُ للدّولةِ من أموالٍ وكيفَية صرفها

على أجهزةِ الدولةِ التعليميّةِ، والصحيّةِ، والطُّرقِ، والجسور، والمصانعِ، وغيرِ ذلك، ويحددون ما هو الأفضلُ والأصلَحُ للشّعبِ، ولهم دورهامّ جداً، فهم يراقبون (السلطةَ التنفيذيةَ) أي جميعَ الوزراءِ وموظفي الدّولةِ في تصرفاتِهم هل هي صحيحة أم خاطئة، كما فعلتَ أنتَ يا حمَدُ مع مديرِ المدرسة» .

قالت الجدة : «لنأخذ استراحةً تقصُّون لنا فيها قصةً أو طرفه، ومن ثمّ نعودُ للحديث عن (المجالس النيابية)» .

بسرعة قفزت عنود ووقفت على طاولة صغيرة وقالت : «أنا أقصُّ عليكم قصةً درستُها في الصفِّ الخامس، وحفظتُها لألقيَها في الإذاعةِ المدرسيّةِ وهي تدلُّ على ممارسةِ حريّةِ الرأي . القصة بعنوان (فصاحة غلام)» .

يحكَى أنّهُ في عهدِ الخليفةِ الأمويّ (هشامُ بنُ عبدِ الملكِ)، تأخّر نزولُ المطرِ، فجَفّ الزرعُ، وهلكَ الضرعُ [١]، وأُصيبَت البوادي بالقَحطِ والجفافِ [٢]، وانعكَسَ ذلك على حياةِ أهلِ الباديةِ جوعاً وعطشاً بسببِ تلك المجاعةِ المهلكَةِ، مما دفعَهُم إلى اللجوءِ إلى خليفةِ المسلمين هشام بن عبد الملك، فقدِمَت عليهِ وفود من القبائل العربيةِ في مقَرّ خلافتهِ بدمشقَ، فلما وقفوا أمامَهُ هابوا [٣] أن يُكَلّموهُ عن أحوالِهم وما أصابَهُم، بسببِ الجفافِ من فقرٍ وحرمان، وكان من بينهم غلام نجيب [٤] هو (درواسُ بن حبيب)،

---

(١) **هلك الضرع** : ماتت الحيوانات التي تمد الإنسان بالحليب.

(٢) **أصيبت البوادي بالقحط** : تعرضت الصحراء لانحباس المطر، فذهب ما كان فيها من مراعٍ وعيون ماء.

(٣) **هابوا**: خافوا وحذروا.

(٤٣) **نجيب** : ذكي.

وكان لا يتجاوزُ الخامسةَ عشرةَ من العُمرِ، فوقعت عليه عينُ الخليفة هشام، فقالَ لحاجبِه[١]: «ما شاءَ أحد أن يدخلَ علي إلا دخل، حتى الصبيانُ» فأدرك الغلامُ أنه المقصودُ بهذا القولِ، فوثبَ[٢] على الفورِ من مكانِهِ، ووقفَ بين يَدي الخليفة وقال: «يا أميرَ المؤمنين هل استصغَرتَ شأني، فأنِفتَ من مخاطبَتي؟[٣] لِتَعلَم يا خليفةَ المسلمينَ أن للكَلامِ نشراً وطَيّاً[٤]، وانّهُ لا يُعرف ما في طيّه إلا بنَشرِهِ[٥]، فإن أذنتَ لي أن انشرَهُ نشرتُه».

(١) **لحاجبه** : الحارس الذي يقف على باب قصره.

(٢) **فوثب** : نهض وقام.

(٣) **فأنفت من مخاطبتي** : تكبرت عن الحديث إليّ وكرهت ذلك.

(٤) **أن للكلام نشراً وطياً** : يعني أن من الكلام ما يُنشر ويُذاع بين الناس، ومنه ما يُكتم ويُخفى.

(٥) **لا يُعرف ما في طيّه إلا بنشره** : لا يُعلَم المخفيّ من الكلام إلا بنشره وإذاعته في العلن.

فأُعجِبَ الخليفةُ بكلامِهِ وجرأتِه، فقال له: «انشُره لله دَرُّك»، فقال الصبيُّ بلسانٍ عربيٍّ فصيح: «يا ابنَ الخلفاءِ الأكارم ، أصابتنا سنون ثلاثُ، سنة أذابتِ الشحومَ، وسنة أكلت اللّحمَ، وسنه دقّتِ العظمَ، وفي أيديكُم فضولُ مال، فإن كانت هذه الفضولُ للهِ ففرّقوها على عبادِه، وان كانت لعبادِ الله فعلامَ تحبسونَها عَنهُم؟ وإن كانت لَكُم فتصدقوا

(١) **لله درك** : كلمة مدح وثناء، معناها: ما أحسن ما أتيت به من قول أو عمل.
(٢) **سنة أذابت الشحوم** : أنقصت الدهون في الجسم حتى أصبح ضعيفاً.
(٣) **دقت العظم** : كسّرته وطحنته، وفي الكلام مبالغة ليلفت انتباهه إلى صعوبة أوضاع الناس، وحاجتهم إلى الطعام والشراب.
(٤) **فضول مال**: أموال زائدة عن الحاجة.
(٥) **فعلامَ**: لماذا.
(٦) **تحبسونها** : تمنعونها.

بها عليهمِ، وانّ الله يجزي المتصدقين» .

فقال ابنُ عبد الملك: «والله ما تركَ لنا الغلامُ في واحدةٍ من الثلاث عُذراً» .
فأكرمَ الصبيّ ومن معَهُ من الوفودِ، وأمرَ للبوادي بمائة ألفِ درهمٍ تعينُهم على تجاوُزِ تلك المحنةِ، ورجعَ الصبيُّ ومن معَهُ إلى باديتِهم مسرورين .

صفّقَ الجميعُ للعنود وقالت الجدة :« أتمنّي يا أحفادي أن تكون لديكم القدرةُ جميعاً علي التعبير عن آرائكُمْ، والمشكلاتِ التي تواجهونَها بطريقةٍ لائقةٍ، وأن تحترموا الآخرين وآراءَهم مهما اختلفتُم معَهُم في الرأي» .

قال ناصر : «أعجبني الغلامُ دواس حينَ وقفَ أمام الخليفةِ وعبّرَ عن رأيهِ . من الآن سوفَ اعبّرُ عن رأيي بِكُلِّ حريّةٍ (وضحك وتمايل) سوف أمارسُ المقرطّةَ» .

داعبت الجدّةُ أُذنَ ناصر وقالت : «اسمه درواس، واسمها الديمقراطية، وبإمكانك أن تعبر عن رأيك ولكن بأسلوبٍ لائقٍ والأَهَمُّ من هذا أن تحترمَ آراءَ الآخرين» .

تدخّلَ الجَدُّ وقال : «يا أبنائي الديمقراطيّةُ ليسَت نظاماً قانونياً يُنظِّمُ ممارسةَ السُّلطةِ السياسيّةِ فقط بل هو (نظامُ حياة)، وقيمة عظيمة لابُدّ أن تتداخَلَ وتتواجَدَ في مختلف العلاقاتِ الرسميّةِ، وغيرِ الرسميّةِ، أي في كافة علاقاتنا الاجتماعية .

والاهمُّ إنني أرى بأنّهُ لا يمكن أن تقومَ ديمقراطية، بدونِ ديمقراطيين، يعرفونَ مبادئَها، وتُصبحَ صفةً في شخصياتِهم، ويُعبّرونَ عنها في سلوكِهم اليومي .

وما أريد التركيز عليه أن ما يتميز به الشخص الديمقراطي انه يعترفُ بفكرِ الآخرين ويحترمُه، ويتركُ لهم الفرصةَ للتعبيرِ عن أرائِهم، ويتمتّعُ بمهارةِ الإنصاتِ، والاستماعِ؛ ليُكوّنَ أراءً صحيحةً صائبة» .

تدخلت الجدة بحماس وصوت عالي قوي النبرات : «أنا أريدكم يا أبنائي أن تكونوا مواطنين ديمقراطيين تملكون الجرأةَ العقليةَ، والنفسيّة؛ لتقبلوا أو ترفضوا ما يُعرَضُ عليكم من موضوعاتٍ، وتُحللِّوا وتنقدوا، وذلكَ يا أبنائي لا يحدُثُ إلا إذا قرأتُم كثيراً ليكونَ لديكُمُ معلومات واقعية وتجاربُ تُشكّلُ شخصياتِكُم وأفكاركم» .

ضحك ناصر وقالَ : «جدي أرغبُ في أن أكونَ عُضواً في البرلمان» .

قال الجَدُّ : «يجبُ أن تعلمَ أن النائبَ في البرلمانِ يجبُ أن يكونَ ممثلاً للشعب الذي انتخبَهُ .

وإذا كنت ترغب في المستقبل أن تكون نائباً حقّاً فعليك أن تعِدّ نفسك من الآن فتقرأ كثيراً وتثقفَ نفسك، كما عليك أن تعتاد على أدب الحوار وجرأة المناقشة بأسلوب لائق، واستيعاب الآخر، واحترام أرائه» .

رنّ جرسُ الباب فعلمَ الأولاد أن والدهم قد حضر وأن الزيارةَ قد انتهت فقال الجَدُّ : «الزيارةِ القادمةِ سوف أصحَبُكُم إلى المقَرِّ الانتخابيّ واشرَحُ لَكُمُ العمليّةَ الانتخابيةَ بالتفصيل» .

وعلى الفور توجه الأطفال إلى الجد والجدة وقبلوا رأسيهما، وخرجوا وهم يرددون : «مع السلامة ياجدي . . . مع السلامة . . . .يا جدتي ولكما جزيل الشكر على الغذاء الفكري والوجداني» .